خيوط الواقع والسرد الروائي
في رواية (غراب الطاهرة)

د . أحمد حسين جارالله

الخلاصة:

تعد رواية (غراب الطاهرة) من الروايات المعاصرة التي ركزت على الواقع المعاصر، وهي تمثل حقلاً بكراً صالحاً لدراسة العلاقة الحميمة بين (الواقع) و (الشكل البنائي) وأثره في بنية النص الروائي، بمعنى آخر دراسة القوانين التي توجه أنماط التأليف، وحرية الأختيار في صياغة العمل الفني.

إذ إن اهتمام المؤلف بالتوثيق التاريخي، وتسجيل أهم المظاهر الواقعية، ومايرتبط بها من ممارسات النظام السابق أثرت في البناء الروائي، فمن حيث بناء الزمن لجأ المؤلف إلى تقسيم المادة الروائية على وحدات سردية تبدو مستقلة، ولاسيما مع وجود العناوين الفرعية التي تتصدرها، مما يضمن لها تجاوز الأزمنة الخالية من الحدث.

أما من حيث بناء الشخصية وتقديمها، تحاول الرواية أن تعرض قضية (الانسان العراقي) ضمن الواقع المعاصر بصورة عامة بعيدا عن الخصوصية الفردية، ولذلك عمد المؤلف إلى تجريدها من الخصائص الفردية، والاكتفاء بالخطوط العامة.

وللتعبير عن رفض المؤلف لسلبيات الواقع المعاصر عمد إلى توظيف (الراوي العليم) الذي يسرد بضمير الغائب مما يسمح بتماهي صوت الراوي مع صوت المؤلف الحقيقي، ولاسيما وهو يتبنى وجهة النظر الساخرة في تقديم عالمه الروائي معتمدا في ذلك على توظيف المفارقة بأنواعها المختلفة وهو يصوغ مفردات المشهد السياسي.

Abstract: (Conclusion)

The novel (crow pure) Is one of the contemporary novels that focused on contemporary reality, which represents a virgin field valid to study the intimate relationship between the (Reality) and (Formative Figure) and its impact on the structure of narrative text, in other words, studying the laws that guide patterns of authorship, and freedom of choice in the formulation of the artwork.

The author's interest in historical documentation, recording the most important aspects of realism, and associated practices of the former regime which affected the construction novelist, in terms of building time took refuge in the author to divide the material feature on independent narrative units, especially with the presence of led sub-headings, which ensures its override-free times of the event.

In terms of character-building which presents, the novel is trying to present the issue of (Iraqi man) within the

contemporary reality in general away from individual privacy, and therefore, the author strips from individual characteristics, and only the guidelines.
For expression the author's rejection of the negative aspects of contemporary reality, he deliberates to employ (Narrator Alim), who lists the third person, allowing to coordinate the narrator's voice with the real author's voice, especially adopts the satirical points of view to present his novelist world, relying on the employment of irony with its various types when he shapes the political scene vocabulary.

المقدمة :

إن من البدهي جدا الحديث عن التأثير المتبادل بين الفن والقضايا المعاصرة، فقد كان للاحداث السياسية والتغيرات الثقافية والفكرية آثارها الواضحة في تطور الفنون ومنها فن الرواية، ومن المنطقة المشتركة بين الواقع المعاصر والكاتب القصصي خرجت كثير من النصوص السردية القصصية والروائية، إذ ((لم يكن الاديب يوما بعيدا عن المجتمع وتحولاته واشتراطاته وقضاياه ، بل ثمة علاقة متشابكة معقدة حققت نقاط الالتقاء ومعالم التطورالاجتماعي في منظورالاديب وبروز رؤية نقدية للمجتمع عنده تطمح الى الكشف عن نقاط القوة والضعف فيه على المستويات كافة ،ومن ثم تصحيح مساره الرؤيوي وحل مشكلاته ذات العلاقة بالمشروع الانساني ولو بشكل ثقافي)) [1] فالكاتب الروائي او الفنان بصور عامة،وبما يمتلكه من احساس بشخصيته الفريدة، وما يتعرض له من احباطات قاسية وازمات عنيفة نتيجة للصراعات المتعددة بين الاديب ومجتمعه بما يضمه من قيم حضارية، واوضاع سياسية، واجتماعية، وفكرية، ومايتبلور عن ذلك من احساسه بالانتماء او التأييد اوالرفض،يمكن أن يترجم هذا الاحساس الى عمل روائي ،ويستثمر معطيات الواقع في عمل تخييلي، يتحرر فيه من كل القيود الخارجية في التعبير عن رؤيته واحساسه بالوقع المعاش.

ومن يتأمل رواية (غراب الطاهرة) للدكتور (عقيل مهدي يوسف) يلحظ نظرة متعاطفة مع الواقع المعاصر ،إذ لا يخلو اسلوب السرد فيها من نبرة ساخرة في معالجة بعض القضايا التي وقفت عندها الرواية ،وهي تحاول ان ترصد مراحل التغيير والتحول في العلاقات التي بدأت تتداعى وتتبدل بعد سقوط النظام البعثي ، فهي رواية تمثل نوعا من انواع الاهتمام بالواقع في جوانبه كلها، ولا سيما أن هذا الواقع مازال يتسم بالحضور في الذاكرة الشعبية ،ولم تزل تفصيلات الحوادث التي تعرض لها الرواية حاضرة بكل وضوح في ذاكرة الشعب ،وهذا ما يجعل السرد يبدو كأنه استعراض لاحداث محلية وتفصيلات جزئية لمشاهد يومية مقتطعة من الواقع المعاصر، تعكس معاناة الشعب العراقي من خلال استعمال اساليب سردية متنوعة في متابعة الشخصيات الروائية وارتباطها بالحوادث التي تؤثر فيها، أو تصوغها بوحي منها من دون ان تفقدها نمطها العفوي وسلوكها الطبيعي ، وبالشكل الذي يسمح بتحول السرد من الافق الفردي الضيق في التعبير عن الهم الخاص الى الأفق الجماعي الذي يعبر عن الهم العام، فما تتعرض له الشخصيات من انتهاكات انسانية لا تمثل معاناة أفراد ، وإنما هي معاناة شعب باكمله .

تعد(رواية غراب الطاهرة) من الروايات المعاصرة التي ركزت على الواقع المعاصر، وهي تمثل حقلا بكرا صالحا لدراسة العلاقة الحميمة بين (الواقع) و (الشكل البنائي) وأثره في بنية النص الروائي، بمعنى آخر دراسة القوانين التي توجه انماط التأليف، وحرية الاختيار في صياغة العمل الفني ((وهي واحدة من اكثرالمشكلات حيوية في التحليل الجمالي)) [٢] .

وعلى الرغم من ان بنية العمل الفني وقوانين انتاجه كانت ومازالت موضوع نقاشات مستفيضة، إلا انه يمكن تحديد بعض المقاربات التي تسمح لنا بالتوغل داخل أبنية النص السردي واكتشاف بعض أسرار بنائه.وهنا نعتزم تقسيم البحث على ثلاثة عنوانات رئيسة تمثل ثلاثة عناصرأساسية تمتلك حضوراً واسعاً وفعالاً في الرواية موضوعة البحث ،وهذه العناصرالثلاثة مثلت (الزمن ،والشخصية ،و وجهة النظر)[٣] عبر ثلاثة محاور مستقلة استقلالاً شكلياً ،منهجياً،لاستحالة الفصل بين مكونات السرد ،وعناصره ،إلا على سبيل الدراسة والبحث .

وقبل الحديث عن هذه العناصر ،لابد من وقفة تأويلية عند عنوان الرواية ،ومفتاحها الاول (غراب الطاهرة) لما يحمله من شحنات دلالية عميقة ،تكشف عن العلاقة بين الانسان (الطاهرة) والعالم من حوله في رحلة التغيير المستمرة للبشر ،وتعاقب الاجيال ، وتنوع الحوادث وتطورها ، وكل مايتعلق بذلك من تفصيلات تدخل في صياغة التاريخ التي تعتمد بشكل اساسي على وجود (الشاهد) في توثيق اخباره، وصحة رواياته. وهنا نتذكر(الغراب) الشاهد الاول على أول جريمة في تاريخ الانسانية في قصة (قابيل وهابيل) التي ورد ذكرها في القران الكريم . وهذا ما يعكس مرارة الاحداث التي ترويها الرواية ، ولا سيما مع الرصيد الدلالي لـ(الغراب) ضمن الموروث الشعبي بوصفه نذيراً للشؤم والخراب .

على وفق هذه القراءة لعنوان الرواية ،فإن المؤلف يستدعي (الغراب) ليكون شاهداً عصرياً على واقع مأساوي لشعب عانى القهر والتسلط من نظام حكم قاسٍ،مختصراً تلك المعاناة برمز(الطاهرة) وتحولاتها السردية، بوصفها المحور الذي يجمع شخصيات الرواية ،ولاسيما وان المؤلف يضعها في أدوار مختلفة ، فهي (المراهقة الجريئة، ،والعاشقة الخجولة ،والزوجة المخلصة ،والاخت الطيبة ، والأم الحنونة ،والعمة والجارة و.....الخ)وغيرها من العلاقات الانسانية ،وهي بهذه الادوار المختلفة تخرج من خصوصيتها الفردية لتتحول الى إنموذج (الأنسان العراقي) الذي عاش زمن الحرب والحصار تحت ظل النظام البعثي ،ولم تنته معاناته بعد سقوط هذا النظام.

ومايدعم هذا التأويل أن المؤلف يفتح الرواية برؤية استباقية تنذر ببداية التغيير والتحولات السياسية والاجتماعية والفكرية، ضمن أفق رمزي : ((باغت السرب غراب اسحم لاهث، بدت هيأته غريبة ومريبة لطيور أليفية، فانهدم في الفضاء نسقها الأول وتخلخل ،واخلت مكانها لهذا الوافد العجيب الذي حط فوق سطح الدار ثم زعقت الطاهرة ماهذه النازلة)) [٤] وإذا كانت الرواية قد بدأت مع (ظهور الغراب) كأشارة الى بداية الكارثة وحلول الخراب ، فإن الخراب لاينتهي مع (رحيل الغراب) الذي تنتهي به الرواية ،بشكل ينسجم مع(النهاية المفتوحة) التي اختارها المؤلف لنصه الروائي ،ليترك المجال مفتوحاً امام المتلقي في تصور أوتخيل ما يمكن ان يصير إليه الشعب العراقي بعد سقوط نظام قاس صنع مجده على حساب حرية الانسان : ((تطلعت الى الاعالي .. فرمقت غراباًعنيداً يتغلغل بين طيات السماء فشاب روحها الكدر (....)مرق الغراب غير آبه بتفكك اي عالم ،سفلي كان أم

علـوي). [٥] ومـابين ظهـور الغـراب واختفائـه تحكـي الروايـة معانـاة الشـعب ممثلـة بالشخصيات الروائية .

***

الزمن الروائي

إن من اول الابعاد الروائية التي تلفت نظر قارئ الرواية ، هو بعدها الزمني ، بسبب الرغبة الملحة التي تدفع القارئ الى معرفة العصر الذى تقع فيه الاحداث التي يسردها الراوي ،وهل يجري تناولها على وفق تسلسلها المنطقي ،او إنها تختفي وراء ديمومة نفسية ووجودية لاتقاس بالساعات ولا بالتقاويم ،هذه الاسئلة وغيرها تطرح على كاتب القصة او الرواية مشكلات تقنية يجب حلها بالشكل الذي يتيح له التعبير عن زمنه الخاص كمؤلف . [٦] إذ يرتب الاحداث التي ينوي سردها ضمن الهيكل الزمني الذي يراه مناسباً لبنائه الفني ومنسجماً مع مقاصده الدلالية .

وفي هذه الرواية نجدالمؤلف ينتقي الاحداث ويختارالتفصيلات الجزئية من واقع العراق المعاصر قبل سقوط النظام البعثي وبعده، مدفوعاً بحس تاريخي يحاول تسجيل بعض المظاهر الاجتماعية والسياسية والفكرية وتوثيقها ، بعيداً عن تسلسلها الزمني والتاريخي، فهو مضطر .كما يرى مؤلفا كتاب (عالم الرواية). إلى أن ينتقي ويختار في خضم احداث الحياة الاجتماعية والنفسية والسياسية عدداً محدداً من الاوجه والحوادث والتفصيلات لأن ((رواية كل شيءٍ امر مستحيل تقريباً، إذ يلزم عندئذ مجلد على الاقل لكل يوم لتعداد حشد الوقائع التافهة التي تملأ وجودنا))[٧] من هنا يجب على كاتب الرواية العدول عن الزمن التاريخي المنطقي الى زمن قصصي فني معقد نسبياً،لايلتزم بمنطقية السابق واللاحق او السبب و النتيجة بقدر ما يلتزم بجمالية النص وشعرية العرض والتقديم .

على وفق هذه التوجهات تترك رواية (غراب الطاهرة)السياقات التاريخية في ترتيب الاحداث الروائية، يدعمها في ذلك اختيار المؤلف لتاريخ قريب مازال حاضراً في ذاكرة المتلقي يسوغ له التنقلات الزمنية ،والقفز على الازمنة ، وتجاوز او حذف الازمنة الخالية من الاحداث من اجل متابعة القضايا المهمة ،ولاسيما وإنه لا توجد عقدة مركزية تشد الاحداث والشخصيات من البداية الى النهاية، بقدر ماهي متابعة الشخصيات المتنوعة ،

وتغذية ارتباطها بالحدث العام من اجل تسجيل مصير شعب كامل ، والتعبير عن مرحلة تاريخية مهمة .

مثل هذا النمط من الموضوعات، واهتمام الكاتب بالحاضر الروائي في جوانبه كلها، ولاسيما وهي تتناول مرحلة تتسم بالتغييرالخطير والتحول دفع المؤلف الى اختيار نموذج بناء زمني يقوم على تقسيم (المادة الروائية) على وحدات سردية تبدو مستقلة . وهي اشبه ما تكون بحلقات مستقلة ضمن مسلسل طويل . ولاسيما مع وجود العناوين الفرعية التي تتصدرها هذه الوحدات ،مما يضمن لها اولاً استقلالها الشكلي والموضوعي ،ويضمن لها ثانياً القفز على الازمنة ، إذ إن لكل وحدة سردية زمنها الخاص .

إن لجوء (المؤلف) لمثل هذه الآلية في كتابة الرواية عبر تقسيم المساحة النصية على وحدات وفقرات نصية معنونة بعناوين فرعية متنوعة ، وتنضيدها على هذا النحو يؤدي الى التعامل مع كل (وحدة سردية) بوصفها حافزاً سرديا مستقلاً ، فضلاًعن إن كل عنوان فرعي يلعب دوراً اساسياً في تحويل البؤرة السردية ، حيث تتغير الشخصيات والامكنة بالانتقال من وحدة سردية الى وحدة سردية اخرى ،مما يؤشر حدوث نقلة زمنية او نقلة زمكانية إن صح التعبير تبعاً لدلالة العناوين التي يمكن تصنيفها الى اربعة انماط :

١ . نمط يهتم بعرض الشخصيات الروائية ، وتقديمها للقارئ ، مثل الوحدات التي حملت عنوان :(الطاهرة ،او الشيخ ،او القاهري ،او المسؤول الحزبي ، أوزوجة الاب ،.....الخ)

٢. نمط يهتم بعرض الحدث السردي ، مثل (زواج المسكوفي ،او انتقام المهيمن ،او ولادة الطاهرة ،او الحدث الجلل ،.....الخ).

٣ _ نمط يهتم بعرض افكار الكاتب العميقة وآرائه التي يطرحها عبر اقنعة الشخصيات الروائية ، مثل :(لينين ام عبد الناصر ،او محور الدولة ،او حروب اسطورية ،.....الخ) .

٤ . نمط يهتم بتحديد الاطار المكاني ،ويؤشر النقلة المكانية ، ومايرتبط بها من ابعاد اجتماعية ،مثل : (صالة السينما ،او محطة القطار ،اوالكنيسة ،.....الخ) وهذه الامكنة لاتتعدى حدود وظيفتها في تحديد الاطار المكاني للحدث ،فغالباً مايكتفي المؤلف

بذكر اسم المكان من دون أن يهتم بعرض التفصيلات المادية أو المعنوية له ، وهذا ما يجعل من (المكان)عنصراً هامشياً في هذه الرواية .

إن تعدد هذه العناوين الفرعية وتوحد صوت السارد، ووجهة النظر المتعاطفة مع الشخصية ،والساخرة من النظام وأساليبه، هي التي تؤشرالفجوات الزمنية ،وترسم للنص الروائي ايقاعه الزمني الذي تتحول فيه المقاطع السردية من قانون السببية الى قانون التجاور ،حيث يتخلى الراوي عن المتابعة الخطية التصاعدية المتراتبة للاحداث ليرتب مقاطع الرواية على شكل فسيفساء تتشكل علاقاتها السببية في ذهن المتلقي بعد اتمام قراءة الرواية .

وعبر هذا التنضيد استطاع المؤلف أن يعيد ترتيب اولويات السرد ،في تركيزه على أحداث بعينها ادت بالضرورة إلى حدوث انقطاعات في خط السرد، تحول فيها السرد من الزمن المنطقي المتسلسل الى زمن سردي متقطع .

من ناحية اخرى يسهم الـ(التشكيل الطباعي) الذي تتشكل به الوحدات السردية في تشكيل البناء الزمني وتقطيعه ،إذ نجد العناوين الفرعية تتوسط السطر الطباعي بلونها الغامق ،وحجم حروفها الكبيرة نسبياً بعد مساحة من البياض الطباعي التي تكفي للاعلان عن توقف السرد وانقطاعه للانتقال الى نقطة جديدة يواصل فيها المؤلف خطابه الروائي .وبهذا الاسلوب يمارس(التشكل الطباعي) أثره التخييلي في المتلقي وهو يؤشر الثغرات الزمنية وانقطاعات السرد .

وعبر هذه المعالجة الزمنية استطاع المؤلف أن يتوقف عند اهم الظواهر والسمات الفكرية والاجتماعية والسياسية للمرحلة التاريخية التي تغطي الرواية احداثها .

***

الشخصية الروائية

إن مهمة تقديم شخصية روائية ناجحة يتطلب مهارة ادبية لاتتوقف عند حدود ملامح الشخصية الخارجية الظاهرة ،ومايتعلق بها من حركات ونظرات واصوات ،بل يتجاوزها الى الدقة في اختيار جوانبها النفسية ،وابعادها الفكرية ،وكل مايمكن ان ينطوي تحت عنوان الملامح الداخلية للشخصية .

وإذا مانظرنا الى السرد الروائي عبر تاريخه ،وفي شموليته ،فإننا سنرى أن الكتاب الروائيين جميعهم قد لجأوا الى تقنيات مختلفة في رسم ملامح الشخصية وتقديمها للقارئ ،فمنهم من يرسم شخصياته بأدق التفصيلات ،ومنهم من يحجب عن الشخصية كل وصف مظهري ،ومنهم من يقدم شخصياته بشكل مباشر (الاسلوب الاخباري)[٨] عندما يخبرنا الراوي عن طبائع الشخصية واوصافها ،أو يوكل ذلك الى شخصية تخيلية اخرى ،أو عن طريق الوصف الذاتي الذي يقدمه البطل عن نفسه .ومنهم من يفضل الاسلوب غير المباشر (الاسلوب الدرامي) [٩]وهو الاسلوب الذي يعمد فيه الراوي الى عرض شخصياته الروائية عبر حركاتها ،وافعالها ،وحوارها ،وهي تخوض صراعاتها مع ذاتها ،أو مع محيطها من قوى خارجية اجتماعية اوسياسية .

وفي رواية (غراب الطاهرة) ثمة خطة فنية مدروسة في رسم الشخصيات وتقديمها للقارئ ،خطة تقوم على استثمارسلطة(الراوي العليم) وقدرته على التأثير في القارئ وايقاعه في شرك الايهام بالواقعية ،لما يمتلكه من قدرة على كشف العوالم الداخلية ،فضلاًعن رصد الملامح الخارجية ،وإن كان مقتصداً في ذلك ،وتعمد الابتعاد عن عبارات الوصف التي يمكن أن تجسم الشخصية ،وتحدد ملامحها المادية التي تمنحها خصوصيتها وتفردها ،بل اكثر من ذلك إنه لم يمنح شخصياته الروائية اسماءَ واكتفى بالالقاب التي تحدد هويتها الاجتماعية ،أو السياسية ، أو الدينية ،على الرغم من أنه عقد وحدات سردية مستقلة لتقديم هذه الشخصيات جاءت معنونة بعنوان الشخصية مثل : (المسؤول الحزبي ، الشيخ ، الخبازة ،الرفيق الشيوعي ، المولى الشقي .....الخ)،بل حتى الشخصيات الرئيسة الثلاث ليس لها اسماء (الطاهرة) وهو لقب المراة بطلة الرواية استناداً الى نسبها العلوي ، واخواها (القاهري) و (المسكوفي) نسبة الى انتمائهما السياسي الى التيارين (القومي)الذي ظهر في القاهرة و (الشيوعي)الذي ظهر في موسكو، وعلى الرغم من وضوح دلالة التسمية إلا إن الراوي يكشف عنها صراحة : ((..(المسكوفي)كما اسمته هي لأول مرة من قبل !! لشغفه بسيرة (موسكو)وتكرارها على لسانه بلا كلل ولاملل .)) . [١٠] الملاحظة الاخرى التي يمكن أن نسجلها على اسلوب الكاتب في استعمال الالقاب بدلاً عن الاسماء ،إن اغلبيتها تأتي معرفة بالالف واللام ، فتبدو شخصياته بهذا التوظيف اشبه ماتكون بـ(الادوار المسرحية) وهي أدوار مطلقة يمكن لأي ممثل أن يؤديها من دون أي تحديد .

إن تجريد الشخصيات من اسمائها واطلاقها وعدم تخصيصها كان من ورائه رغبة المؤلف بـ(نمذجة الشخصيات) أي جعلها انموذجاً وذلك بالابتعاد عن التفصيلات الدقيقة ،والاكتفاء ببعض الاشارات العابرة التي هي اشبه ما تكون بمكملات ديكورية يتطلبها المشهد ،ولاسيما وإنه عوض النقص الحاصل في عبارات (الوصف الساكن) التي تجسم الشخصية بعبارات (الوصف المشهدي) الذي يصف حركات الشخصية وتنقلاتها ، فهو لا يحاول أن يرسم الشخصيات بقدر ما يسجل مواقف حياتية ،أومشاهد يومية، تشكل واقعاً ملموساً،ومثال على ذلك المقطع السردي الذي يحمل عنوان (الرفيق الحزبي) بوصفه المقطع الذي يمثل الظهور الاول لهذه الشخصية : ((دخل المسؤول الحزبي برأسه الأصلع الى حلقته الحزبية ،فاحس كل من في مجلسه بأنه يرى شيخ قبيلته أو طائفته الدينية ،هيبة وقداسة وشعور بالواجب الثابت كما الرواسم ،كل منهم يصغي تارة ويسأل تارة اخرى ....)).[١١]

مثل هذا الاسلوب الذي يتميز بندرة المعلومات في رسم الشخصية يقدم المؤلف شخصياته الروائية التي تبقى فاقدة للملامح، فهل تكفي صفة (رأس أصلع) لتجسيد شخصية واقعية ،وفضلا عن ندرة المعلومات المقدمة عن الشخصية وإن وجدت ،فهي لاتبدو مركزة ،او مفصلة ،وإنما هي تأتي على شكل اشارات سريعة وعابرة مبثوثة هنا وهناك عبر المقاطع السردية،ولاسيما مع الشخصيات الرئيسة الثلاث (الطاهرة /المسكوفي /القاهري).

ويبدو ان (المؤلف) في اختياره لهذا الاسلوب في بناء الشخصية وتقديمها كان يعتمد ((فرضية تقول بأن الشخصية المتروكة بدون وصف او دون تمييز يمكنها ان تكون اكثر حضوراً في الرواية من الشخصية الموصفة بوضوح تام .)) .[١٢] هذا من ناحية الجوانب المادية ، أما الجوانب الفكرية التي تتجلى في المقاطع الحوارية من خلال صياغة العبارات والجمل التي يضعها الروائي على لسان شخصياته للتعبير عن جوانبهم الفكرية ، فتبدو هي الاخرى مصممة بشكل مسرحي ،ولاسيما في المقاطع الحوارية الاخيرة ،إذ يوجه (المؤلف) على السنة ابطاله مايشبه الخطبة المسرحية التي عادة ماتنتهي بها المسرحيات ذات النهايات المفتوحة ، حيث تُطرح الاسئلة الجوهرية من زوايا متعددة ،وتبقى حرية الاختيار للجمهور : ((

ـ بلا خطط خمسية ،وبلا يا عمال العالم اتحدوا ،بلا الصدفة ام االضرورة ،لنبحث عن انفسنا نحن .....الخ

. غداً سنباشر حملة البناء الجديدة

قال آخر الرفاق المتحدثين :

. تبقى الامبريالية مغفلة ، لو كانوا على قدر شعرة من العقلانية لدعموا الحركات اليسارية بدلاً من محاربتها لانها الكفيلة بازالة الارهاب من عقول العامة والخاصة من الناس .....الخ

. نعم نتفق معك بأن حرية المرأة وسعادة الانسان اينما كان وعلى اي دين او عرف ينتسب هو الهدف .....الخ)) .[١٣]

يمكن القول إن المؤلف استثمر (الحوار)في التعبير عن الجوانب الفكرية لشخصياته ،إلا انه لم يراع التباين والاختلاف بين شخصياته ، فتبدو لغة الحوار التي تتكلم بها الشخصيات لغة واحدة ، تجري ضمن نسق واحد، لانها في الحقيقة هي لغة المؤلف التي يطرح من خلالها أراءه، وأفكاره ،لاصلاح الوضع الذي صار اليه البلد، بوصفه أحد المثقفين الذين عاشوا هذه المرحلة التاريخية وعانوا تفصيلاتها .

إن هذه (اللغة) إذا انسجمت مع بعض الشخصيات ،فإنها قد لاتتلاءم مع شخصيات أخرى . فضلا عن الوعي الثقافي الذي تتمتع به الشخصيات مع اختلاف مستوياتهم ، ما يمكن ان نعده مأخذاً على المؤلف في بنائه للشخصية ،كما هي الحال مع (المومس) صاحبة المبغى وهي توصي بنات المبغى ،وتتكلم بمنطق المثقفين العارفين بـ(نظريات علم النفس الحديثة) فهي : ((...توصي بغاياها بالمساهمة في تجفيف منابع الغريزة بغسل الوجوه الدامعة بالقبل والربت على الاكتاف او الرقص العاري وصولاً الى ردع سيلانهم الجارف حتى لو اقتضت الضرورة صفع الزبائن على وجوههم أو ركلهم على مؤخراتهم حتى يرعووا أو يعودوا للتأقلم مع المجتمع من خلال برزخ البغاء)) .[١٤] على وفق هذا المفهوم لم تعد (المومس) شخصية منحطة اجتماعياً واخلاقياً ، تدير مكاناً للفحش والرذيلة ، وإنما هي شخصية مثقفة تدير مؤسسة نفسية تساعد المرضى على اعادة التكثيف مع المجتمع .

هذا من جهة ومن جهة اخرى وضمن وجهة نظر بنائية فإن مايميز طريقة تقديم الشخصية في هذه الرواية ،هو ان المؤلف قد خصص . كما اشرنا انفاً . وحدات سردية

مستقلة حملت عناوين الشخصيات مثل (المرأة /القاهري /الديوث الشريف /الداعية النبيل .....الخ) وهي اشبه ماتكون باعلان ضمني ، يعلن عن ظهور شخصية جديدة ، ومايترتب عليه من فتح افق انتظار جديد لما ستقدمه الرواية من احداث جديدة تسهم في تنمية السرد واستمراره .

***

وجهة النظر الروائية

استأثرت وجهة النظر باهمية كبيرة في الدراسات النقدية المخصصة للرواية والقصة ، وأثارت جدلاً واسعاً توقف بصورة خاصة عند (الراوي) و (الرؤية) ،وطبيعة العلاقات المتداخلة والمتشابكة بينهما ،بمعنى آخر تتعلق المسألة بالإجابة عن السؤالين : من يروي ؟ ، وكيف يروي ؟

ويعرف (الراوي) بأنه الشخص الذي يروي القصة ،أو الصوت الخفي الذي لايتجسد إلا من خلال ملفوظه ، وهو الذي يأخذ على عاتقه سرد الحوادث ،ووصف الامكنة ،وتقديم الشخصيات ،ونقل كلامهاوالتعبير عن أفكارها واحاسيسها،وله حضور فاعل لأنه يقوم بصياغة الوقائع السردية .

وتعرف (الرؤية) بأنها الطريقة التي يقدم بها الراوي عالمه القصصي، [١٥] فهو لاينقل تفصيلات عالمه القصصي كما هي في (ذاتها) وإنما تخضع لتنظيم خاص يتجسد من خلال منظور الراوي لمادة القصة التي تخضع لإرادته ولموقفه الفكري .

تستثمر رواية (غراب الطاهرة) سلطة (الراوي العليم) بكل مايتمتع به من أمكانيات في رسم شخصياته ،ومتابعتها، ورصد تفصيلات الأزمنة والأمكنة ،وتصوير الظروف المؤثرة في دوافعها وسلوكها ضمن الرؤيتين الداخلية والخارجية ،وهو يسرد بضمير الغائب الذي يرتبط عادة باسلوب السرد الملحمي، بشكل ينسجم مع طبيعة موضوع الرواية بوصفها تسعى الى توثيق مرحلة تاريخية لشعب عانى أحداثاً جسيمة تمثلت بظروف الحروب والحصاروسقوط النظام السياسي .

أما وجهة النظرالمهيمنة التي يتبناها الراوي وهو يقدم العالم الذي يصفه ويدركه ايديولوجياً،أوعلى حد عبارة (اوسبنسكي) وجهة النظر المغردة التي تطغى على الأخريات في

العمل [١٦] ،فهي (وجهة النظرالساخرة) التي تهيمن على وجهات نظر أخرى قد يتبناها الراوي أو الشخصيات، فلا يكاد القارئ يقرأ صفحاتها حتى يشعر بنبرة السخرية التي تميز لغة الرواية ،مع تنوع تقنياتها ،إذ لاشك إن الكاتب الساخر بشكل عام يفيد من كل التقنيات والاساليب التي يرى أنها تخدم مقاصده الفنية والدلالية ليشكل أداته الخاصة التي تمنح نصه الفني تميزه وتفرده .وفي هذه الرواية وجد المؤلف ضالته في(المفارقة الساخرة) بأنواعها المختلفة ،ولاسيما وهو يحاول عبر هذه الرواية أن يسلط الضوء على حجم المفارقات أوالمعاناة التي يعيشها الانسان العراقي في مختلف مجالات الحياة العائلية ،والاجتماعية ،والسياسية ،والفكرية ،بلغة روائية تؤسس فاعليتها الدلالية بالاعتماد على ماتختزنه الذاكرة الجماعية من مواقف ،وسياسات ،وتوصيفات ،ومفاهيم مرتبطة بالنظام البعثي الحاكم مثل (الحملة الايمانية ،الماجدات ، حفظه الله ورعاه ،الخفارات الحزبية ،القائد الضرورة ،الاضبارة الحزبية ،.....إلخ)وغيرها من المفردات التي تنسج خيوطاً من التفاهم والتواطؤ بين الكاتب والمتلقي(القارئ).

ويتشكل الايقاع الساخر في رواية (غراب الطاهرة) ـ كما قلنا ـ على المفارقة والمفارقة الساخرة تحديداً ،فمن ((هذا التلاحم بين خطي المفارقة والسخرية اللذين اكد النقد الحديث تلاحمهما ..ووحد بينهما اسلوبياً) [١٧] ينطلق المؤلف الى توظيف انماط متنوعة في تشكيل المفارقات التي تغذي السرد الروائي، وتمنحه طاقات دلالية ،وتفتح المجال واسعاً امام المتلقي للبحث عن المعاني الايحائية .ويمكن تصنيف هذه المفارقات استناداً الى اسلوبها البنائي إلى اربعة انماط :

١ . **المفارقة اللغوية** : وتتمثل في ذلك النمط البنائي الكثيف بالدلالة المختصر بالتركيب الذي يتشكل بالاعتماد على فاعلية الانزياح الاسنادي أو الاستبدالي ، وذلك عندما يعمد المؤلف الى تراكيب نحوية تضم مفردات ذات مدلولات متنافرة لايمكن أن تجتمع إلا تحت سقف المفارقة الساخرة ،مما يزيح دلالة السرد الروائي الى المعنى الايحائي (الدلالة المغيبة) او المسكوت عنها ،كما في اسناد مفردة (الرحمة) الى أزلام النظام الحاكم في قول السارد : ((هاهم حراس الرحمة يجرجروني الى التوقيف)) [١٨] إذ تتشكل ضربة السخرية اللاذعة في اسناد (الرحمة) الى (الحراس) التي تتنافر دلالياً مع الفعل (يجرجروني)بصيغته الصرفية التي توحي بتكرار الفعل (ديمومة الفعل وتكراره اكثر من مرة)،مما يكثف من

معنى العنف والقهر في سياق العبارة الى الدرجة التي تترك مفردة (الرحمة) معناها الظاهر الى معنى ايحائي يمثل النقيض الدلالي لها . والشيء نفسه يقال عن استعمالها مع الفعل (ينتشرون) الذي يدل على سطوة النظام وبطشه في قول السارد : ((لن تفلت هي وزوجها ،فجنود الرحمة ينتشرون هنا في كل ركن)) [١٩] إن مثل هذه المفارقات لايمكن ان تتوقف عند حدود تسمية الاشياء بغير مسمياتها بهدف السخرية ، وإنما تأخذ مديات اوسع ، إذ يمكن قراءتها على انها تعبر عن قسوة النظام الى الدرجة التي لايمكن لاي أحد أن يصرح بذلك وإن كان في قرارة نفسه يعتقد به .

من ناحية اخرى قد يكشف اسناد (النعت) غير الملائم دلالياً عن السياق الساخر الذي يعبر خلاله المؤلف عن ازدواجية النظام السابق في التعامل مع المفاهيم ، فيصير المعنى الحقيقي للكلمات مختلفاً عن معناها الظاهري ، كما في نعت شخصية (معاون المركز) بـ(الامين المؤتمن)[٢٠] في حين يصفه الراوي بانه : ((هو الاعلم بالقوانين، ويعرف متى يزور اقوالاً لمتهم او شاهد، ومتى يثبتها ويصونها)) [٢١] وضمن هذا النوع من المفارقة يمكن ان ندرج اسلوب الكاتب في توظيف الاسماء المألوفة الراسخة في ذهن المتلقي بعد اجراء بعض التعديلات التي من شأنها أن تغير دلالتها مثل استثماره لاسم المنجز الفني لجواد سليم (نصب الحرية) ليتحول الى(نصب العبودية) بعد اضفاء تغريب لمألوفية التحديد الدلالي بتغير الدوال اللسانية وخللخلة بنيتها : ((..التقط اسماً مناسباً لمأساته ومحنته اسم (نصب العبودية)الذي حدس جواد سليم باجتثاثه بهذا النصب المعنوي الذي ركب عناصره مفردة مفردة .)) [٢٢]وهي اشارة كنائية إلى غياب الحرية .

وعلى وفق هذا الاسلوب تنجز اللغة وظيفتها الشعرية ، وتنجح لغة الاختزال في صياغة المفارقات الدلالية .

٢ . **المفارقة الدرامية** : يتمثل هذاا لنمط بتحولات الشخصية ، أو تحولات قيمة الاشياء ،أو تطور الحدث بالشكل الذي يخالف المنطق ،ويكسر افق التوقعات ،ويخلق الدهشة لدى المتلقي ،كما هي الحال مع تحولات شخصية (معاون المركز) وانتقاله من شخصية مرفوضة اجتماعياًواخلاقياً لا قيمة لها سوى القيمة السلبية الى شخصية مهمة تتحكم برقاب الشعب : ((المعاون السابق والمتهالك على المبغى والبكاء بدموع حرى على اية قحبة غانية، تصادفه اليوم رفيقاً مهاب الجانب ، يأمر الناس فتبني له منزلاً ، ويلتقط منهم من

يشاء من غير تفكير فيبعث به الى جحيم الجبهات ليشوى في محارق الحروب،او يكتب سطراً او اشارة لتهرع على الفور كتائب الجهازالامني الخاص ،فيندثر في المعتقل بلا ذكرى او دليل)) .[٢٣] وفي ذلك اشارة واضحة الى اعتماد الحكم البعثي على شخصيات جاهلة منحطة مارست القمع والظلم تجاه الشعب .

ولم تتوقف حدود(التحولات الساخرة) على نمط الشخصيات، وإنما تعدتها الى الاشياء مثل المكاتب(السياسية والتنظيمية)التابعة لحزب البعث الحاكم ، التي تفارق نشاطها الفكري والتنظيمي والتوجيهي ،وتفقد هيبتها في الصور المجازية التي يرسمها المؤلف لها عندما يسند اليها فعل (الهز ،والتعطف والتثني) وهي من مفردات (معجم الرقص): ((تحولت اكتاف المكاتب السياسية والتنظيمية الى مويجات من الهز والتعطف والتثني كما يطلب منهم التوجيه الحزبي ، وارتفعت اياديهم وانخفضت كلما ذكر الاسم المقدس ! ! حامي حمى الاطناب)) [٢٤] وبهذا التحول غير المألوف لنشلط(المكاتب السياسية) تتحقق المفاجأة الساخرة .

وقد تكون القيمة الرمزية سبباً في تحول الاشياء وانتقالها من مستوى الى مستوى اخر يرتبط معه بعلاقة مفارقة ،كما نجد مع (نعل المهيمن)الذي صفع به تمثال رئيس النظام السابق بعد سقوطه ،والذي يفارق قيمته المتدنية ليتحول الى شيء ثمين كما يتبين ذلك من اسلوب (المهيمن) في تعامله معه والاحتفاظ به : ((هي ترى الى ابنها المهيمن يحشر نعله في قماش القديفة الاخضر ويلفه بعناية !! يالتبدل اطوار هذا الزمان))[٢٥] فبهذا التشكيل البصري المتركب من (القماش القديفة) و (اللون الاخضر) يعبر المؤلف عن درجة التحول الكبيرة ، ولاسيما وإن هذا التشكيل البصري له خصوصيته ضمن الموروث الشعبي والتي يستمدها من مرجعيته الدينية ، وهنا تتشكل المفارقة عندما يتم التعامل مع (النعل) بوصفه شيئاً ثميناً مقدساً.

أما على سبيل تطور الحدث وكسر افق التوقعات ،فيمكن أن ندرج الحادثة التي ترويها(صاحبة المبغى) عن اطلاق سراح نزيلاتها وسجن الشرطة بدلاً عنهن، والتي تأتي بصيغة التواتر ،مما يمنح المفارقة مديات زمنية اطول :

((.... هي تتذكر عشرات المرات التي قام المعاون بسجن الشرطة بدلاً من نزيلات بيتها المشبوه وهن يثرن الفضائح بعد منتصف الليل)) [٢٦]

٣ - المفارقة الكاركتيرية :وتتجلى في رسم الشخصيات الروائية باسلوب يعتمد على المبالغة والتضخيم وابراز جوانب معينة ، بالشكل الذي يكشف عن قصدية المؤلف في أن يقدم الشخصية بمنظور ساخر ،وبملامح كوميدية ، وليكن مثالاً على ذلك شخصية (تابع الشيخ) الذي يغوي الفتيات لحساب سيده : ((... هذا التابع الملمع بمظهره ولسانه الذي يجيد الرقص في حفلات مولاه الخليعة ويظهر جسده وكأنه ظهر حصان حين تلسعه بعوضة)) [٢٧] فالصورة البصرية التي يقدمها الراوي عن الشخصية تفارق المألوف الانساني في الرقص وما يتعلق به . بوصفه فناً له قوانينه التي تنسق حركاته . وتتراجع الى مستوى متدني (المستوى الحيواني) عبر فاعلية التشبيه عندما يشبه حركاته بحركات الحصان المضطرب ضمن الموقف الذي يذكره السارد .وكذلك هي الحال مع شخصية (رجل الدين المزيف) التابع للنظام : ((جلس (الداعية) على منبره وقد احدودب ظهره وبان عليه الجنون المتواري ، فهو يصرخ في موضع الهمس ويشتم في موضع المدح ،ويسخر في موضع الجد (.....)وضع خدماته رهن ابناء السلطة يزوجهم بالباطل ،ويفرقهم بالحق ....)) [٢٨] إن بلاغة الصورة في هذا الضرب من التشكيل في تقديم الشخصية الروائية هي بلاغة المغايرة والتعامل مع منطق الاشياء بالمقلوب بهدف السخرية ،لان مثل هذه الصورة لرجل الدين تمثل انتهاكاً واضحاً للصورة المألوفة والراسخة له في البيئة الاسلامية ، بل إن قصد المؤلف كان واضحاً من خلال(الصورة السلبية negative)ـ إذا ما صح التعبيرـ التي تقوم على سلب المحاسن بالاستعانة بشعرية التضاد (صرخ /همس ، شتم/مدح ، سخرية /جد ، زواج /طلاق ،حق /باطل).

٤ - المفارقة الهازئة :

وتتجلى في تعليقات الراوي التي تتخلل السرد الروائي، فغالباً ما يوقف (الراوي) السرد ليعلق على الاحداث او الشخصيات الروائية ، ولاسيما وان (الكاتب الحقيقي) يستعمل اسلوب الراوي العليم الذي يروي بضمير الغائب ،بوصفه الوسيلة الاولى للكاتب للاستيلاء على القارئ بالطريقة التي يريدها ، لان(ضمير الغائب) كما يقول (تودوروف) اكثر من تجربة ادبية ، هو فعل بشري يربط الابداع بالتاريخ اوالوجود وهو علامة على ميثاق واضح بين المجتمع والكاتب . [٢٩] فضلاً عن ان هذا الاسلوب يسمح للكاتب الحقيقي بالتماهي مع الراوي حيث يتطابق صوت الكاتب مع صوت الراوي في التعليق على

أحداث الرواية، ولاسيما انها تضم احداثاً محلية عاشها الكاتب بنفسه وعانى منها وله أراؤه الخاصة.

في هذا النمط من المفارقات الساخرة يكشف الكاتب عن رفضه للكثير من ممارسات النظام السابق باسلوب لايخلو من حس الفكاهة ، ونكتفي بهذا النموذج الذي يعلق فيه(الكاتب) الذي يقف خلف (الراوي) على المبالغة في تمجيد الحاكم والاهتمام الزائد بمناسباته الخاصة التي فرضت على المواطنين بوصفها اعياداً وطنية : ((..... اوصلت البلاد الى حالة مزاجية من قبول اشنع الاسماء للاعياد الوطنية التي لم يبق لاستكمال مفردات معجمها سوى اضافة (اليوم الذي سعل فيه الفارس) ويمكن ان يكون هذا اليوم ترجمة وطنية . محلية ليوم الصحة العالمي في دولة الاطناب مقترناً بسعال ديك النظام الأوحد وصياحه حيث يأخذ السادة المناضلون الصامتون المقبلون أكتاف الضرورة سورة من السعال الذي تشاركهم في اقامة مراسيمه قواعد الحزب ومنظماته وسترفع الجماهير الغارقة بالسعال راياتها وشعاراتها لتصدح الحناجر بسمفونية السعال الاعظم للوطن)) (٣٠)

إن اهتمام المؤلف بالتوثيق التاريخي ،وتسجيل أهم المظاهر الواقعية ،وما يرتبط بها من ممارسات النظام السابق أثرت في البناء الروائي ، فمن حيث بناء الزمن لجأ المؤلف الى تقسيم المادة الروائية على وحدات سردية تبدو مستقلة ،ولاسيما مع وجود العناوين الفرعية التي تتصدرها ، مما يضمن لها استقلالها الشكلي والموضوعي أولاً ،ويضمن لها القفز على الازمنة ثانياً متجاوزاً بذلك الأزمنة الخالية من الحدث.

أما من حيث بناء الشخصية وتقديمها ، تحاول الرواية أن تعرض قضية (الإنسان العراقي) ضمن الواقع المعاصربصورة عامة بعيداً عن الخصوصية الفردية ،ولذلك عمد المؤلف إلى تجريدها من الخصائص الفردية، والاكتفاء بالخطوط العامة ، ولكن ما يؤخذ عليه في هذا المجال ،هو انه مع تنوع مستويات شخصياته الفكرية والاجتماعية إلا انها تبدو شخصية واحدة من حيث وعيها الثقافي والفكري ، ويتجلى ذلك واضحاً في المقاطع الحوارية .

وللتعبيرعن رفض المؤلف للواقع المعاصر . بوصفه أحد أفراد الشعب الذين عانوا سلبيات هذه المرحلة التاريخية . عمد الى توظيف (الراوي العليم) الذي يسرد بضمير الغائب مما يسمح بتماهي صوت الراوي مع صوت المؤلف الحقيقي، ولاسيما وهو يتبنى وجهة النظر

الساخرة في تقديم عالمه الروائي معتمداً في ذلك على توظيف المفارقة بانواعها المختلفة وهو يصوغ مفردات المشهد السياسي.

* * *

الهوامش :

١ . مرايا السرد وجماليات الخطاب القصصي . محمد صابر عبيد وسوسن البياتي :٢٢٥

٢ . شعرية التأليف . اوسبنسكي :١١

٣ . لم يمثل المكان سوى عنصرا هامشياً لايتعدى حدود الاطار المكاني الذي يجمع الشخصيات .

٤ . الرواية : ٥

٥ . الرواية : ١٤٣

٦ . ينظر :عالم الرواية . رولان بونوروف : ١١٩

٧ . ينظر :نفسه :١١٩

٨ . ينظر النقد التطبيقي . عدنان خالد عبدالله : ١٨ ، وينظر : فن القصة . محمد يوسف نجم : ٩٨

٩ . ينظر : النقد الادبي . احمد امين :١٤٥

١٠. الرواية :٨٠

١١. الرواية :٢٥ ،وينظر :٧،٤٦،٥٣،٦٧،٧٧،٨٠،٦٣،١٠١

١٢. بنية الشكل الروائي . حسن بحراوي :٢٢٧

١٣. الرواية :١٣٠ ومابعدها

١٤. الرواية :٣٨

١٥. ينظر :المتخيل السردي . عبدالله ابراهيم :٦١

١٦. شعرية التأليف :١٩

١٧. لعبة المتاهة في التأويل . د.بشرى موسى صالح :١٠٨

١٨. الرواية :١٧

١٩. الرواية :٦٣

٢٠. ينظر الرواية :٦٦

٢١. الرواية :٦٧

٢٢. الرواية :٩٤

٢٣. الرواية :٦٩ ومابعدها

٢٤. الرواية :٨٩

٢٥. الرواية :٦٠ وما عدها

٢٦. الرواية :٤٢

٢٧. الرواية :٣٣

٢٨. الرواية :٥٩

٢٩. ينظر: الادب والدلالة . تودوروف :٥٣

٣٠. الرواية : ١١٣ وينظر:٥٠، ٨٦ومابعدها، ١٠٧

المصادر :

١ . الادب والدلالة . تودوروف ،ترجمة :د.محمد نجم خشفة ،مركز الإنماء الحضاري للدراسة والترجمة والنشر ،ط:١ ،سورية١٩٩٦ .

٢ . بنية الشكل الروائي . حسن بحراوي ،المركز الثقافي العربي ،بيروت ١٩٩٠.

٣ ـ الشعرية . تودوروف ،ترجمة شكري المبخوت ورجاء ابن سلامة ،دار توبقال ،سلسلة المعرفة الادبية ،ط:١، ١٩٨٧.

٤ . شعرية التأليف /وبنية النص التأليفي وانماط الشكل التأليفي . بوريس اوسبنسكي ،ترجمة: سعيد الغانم ود.ناصر حلاوي ،المجلس الاعلى للفنون ،المشروع القومي للترجمة ١٩٩٩.

٥ ـ عالم الرواية . رولان بونوروف وريال اوليلية ،ترجمة :نهاد التكرلي ،مراجعة: فؤاد التكرلي ود.محسن الموسوي ، دار الشؤون الثقافية ،سلسلة المائة كتاب الثانية ،بغداد ١٩٩١.

٦ . غراب الطاهرة . د. عقيل مهدي يوسف ،دار مجدولين للنشر والتوزيع ،ط:١ ،عمان /الاردن ٢٠١٠ .

٧ . فن القصة . د.محمد يوسف نجم ،دار الثقافة لبنان ،ط:٤ ،بيروت ١٩٦٣ .

٨ ـ لعبة المتاهة في التأويل /ومقالات اخرى . د. بشرى موسى صالح ، دار ازمنة ، ط:١ عمان/ الاردن ،٢٠٠٩ .

٩ . المتخيل السردي /مقاربات نقدية في التناص والرؤى والدلالة . عبدالله ابراهيم ، المركز الثقافي العربي ،ط:١ ،بيروت ١٩٩٠.

١٠ـ مرايا السرد وجماليات الخطاب القصصي . د. محمد صابر عبيد، ود.سوسن البياتي ،دار العين للنشر ،ط:١ ،القاهرة ٢٠٠١.

١١. النقد الادبي . احمد امين ، مطبعة المعارف ،القاهرة ط:٣، مصر ١٩٧٤ .

١٢. النقد التطبيقي التحليلي . د. عدنان خالد عبدالله ،دار الشؤون الثقافية العامة ،بغداد ١٩٨٤ .

خيوط الواقع والسرد الروائي
في رواية (غراب الطاهرة)

د. أحمد حسين جارالله
كلية الادارة والاقتصاد /جامعة بغداد

الخلاصة

تعد(رواية غراب الطاهرة) من الروايات المعاصرة التي ركزت على الواقع المعاصر، وهي تمثل حقلا بكرا صالحا لدراسة العلاقة الحميمة بين (الواقع) و (الشكل البنائي) وأثره في بنية النص الروائي، بمعنى آخر دراسة القوانين التي توجه انماط التأليف، وحرية الاختيار في صياغة العمل الفني .

إذ إن اهتمام المؤلف بالتوثيق التاريخي ،وتسجيل أهم المظاهر الواقعية ،وما يرتبط بها من ممارسات النظام السابق أثرت في البناء الروائي ، فمن حيث بناء الزمن لجأ المؤلف الى تقسيم المادة الروائية على وحدات سردية تبدو مستقلة ،ولاسيما مع وجود العناوين الفرعية التي تتصدرها ، مما يضمن لها تجاوز الأزمنة الخالية من الحدث.

أما من حيث بناء الشخصية وتقديمها ، تحاول الرواية أن تعرض قضية (الإنسان العراقي) ضمن الواقع المعاصربصورة عامة بعيداً عن الخصوصية الفردية ،ولذلك عمد المؤلف إلى تجريدها من الخصائص الفردية، والاكتفاء بالخطوط العامة .

وللتعبيرعن رفض المؤلف لسلبيات الواقع المعاصر عمد الى توظيف (الراوي العليم) الذي يسرد بضمير الغائب مما يسمح بتماهي صوت الراوي مع صوت المؤلف الحقيقي، ولاسيما وهو يتبنى وجهة النظر الساخرة في تقديم عالمه الروائي معتمداً في ذلك على توظيف المفارقة بانواعها المختلفة وهو يصوغ مفردات المشهد السياسي.